



تحقق حلمي أخيراً ووصلت إلى الوطن الحبيب، وسلمت الجواز ليختم، دخل جوازي ولم يعد. كل رفافي استلموا جوازاتهم إلا أنا. بدأ القلق والرعب يساورني، فربما قد وصل للأمن أني قد تكلمت بكلمة (برا الطريق) ولا ترroc للنظام هنا أو هناك في الغربة. حاولت استجمام ذاكرتي، ولكنني لم أتكلم بشيء، فقد التزمت بأمر أبي بأن أقص لساني الطويل.

ثم تذكرت. إنه هو، إنه أبو باسل لا غير، وهو من يردد أنه يركع وبيوس المحل الذي فيه بشار يدوس، فقد حدثه عن تغشى الرشوة في سوريا، ثم تذكرت أنه أجابني أن هذا الزمان يتطلب ذلك، وعلى الإنسان أن يكون (قد حاله) ويعرف من أين تؤكل الكتف !، إذن يبدو أن المشكلة أكبر من ذلك. وبدأت أعد الثنائي، ودقائق قلبي تتتسارع، ومررت لحظات والهواجس تلاحمي. وأخيراً تذكرت. فقبيل الاغتراب كنت موظفاً، وقد تبوا زميل سبي منصباً في الحزب القائد، بدلاً من آخر قد افتضح أمر سرقاته، وفاحت رائحته، وقد سأله عن هذا الجديد أحد المعارض، ولا أدرى كيف زل لساني فأجبته: هو أوسخ من سابقه. كنت متخيلاً أنه لن يتكلم، وقد لمت نفسي وقتها كثيراً على التسريع، ولكن عندما مرت أيام ولم يحدث شيء لي، ظننت أنه قد تجاهل الأمر، ثم سافرت، والآن حان وقت الحساب وعاقبة عدم الالتزام بقص اللسان.

بدأت أتصبب عرقاً ورعباً، فأنا أعرف ما معنى الاستجواب، فقد قرأت قصة القوقة وما فيها من تعذيب رهيب لأحد المسيحيين بتهمة الانتقام للإخوان، وسمعت من آخرين أهواً وأهواً. كان في الزاوية بضعة عسكريين يتحادثون، ظهر لي أنهم يتحايلون للقبض على قبل الهرب، ولكن أين المفر ورجال الممانعة من أمامك وأبطال الصمود من ورائك !

أوصيتك زملي أن يسلم حقيبتي وفيها هدايا لبني الصغيرات، إنهم منتظرات وقد ليسن أجمل ما عندهن لقد تحضرن للهدايا والعناق، وتصورت مشهد بكاءهن ودموعهن أمهن، لم أفق من المشهد المرعب إلا على صوت مرعب أكثر: محمد حسن. يا للهول، لقد حللت المصيبة. ولم أرد، ومررت ثوان طولية أحست فيها أني أودع الإنسانية والحياة. فصرخ ثانية: محمد حسن... ردت: نعم. رد الصوت المرعب: أنت أطربش؟ خذ جوازك وانصرف. في الدول الراقية يحاسب الموظف على هذه الجملة النابية. أما عندنا فقد وقع على الصوت بربداً وسلاماً، آه ما أسعدني بهذا الصوت. إنه اللطف بعينه.

المصادر: